مدينة قونيـــة

(يا حضرة مولانا)

للدكتور عبد الوهاب عزام

[بقية ما نشر فى العدد الماضى]

من عجائب الآثار وبدائع الصنعة مدرسة إينجه منارة (مدرسة المنارة اللطيفة) وأنا أعفى القارئ من وصفها وأكتفى بما تنطق به الصورتان المثبتتان هنا

ولا يسعنا أن نغفل جامع صاحب عطا (صاحب آتا) بناه أحد وزراء السلاجقة الكبار فخر الدين على بن الحسين بن أبى بكر المتوفى سنة ٦٨٤ ، وقبره فى إيوان داخل المسجد ومعه خمسة قبور . وتدل الكتابة على مدخل الإيوان أنه بنى فى مفتتح المحرم سنة ٦٨٢

وفى أطراف المدينة على مقربة من المزارع جامع صغير فيه قبر العالم الكبير صدر الدين القونوى المتوفى سنة ٦٧١ ؛ وكان من الأساتيذ فى علوم الدين والتصوف ، وكان واسطة بين الشيخ الأكبر محيى الدين ومولانا جلال الدين . تزوج محيى الدين أمه ورباه وعنه أخذ جلال الدين فيما يقال . وله مؤلفات فى التفسير والحديث والتصوف

ذهبت إليه وحيداً قبيل الغروب فما زلت أسأل حتى اهتديت إليه فألفيته مقفلاً فسرت قليلاً وعدت فإذا رجلان جالسان بجانب الباب أحدهما ضرير . فلما اقترب المغرب قلت : ألا يفتح المسجد ؟ ففتحا الباب فدخلنا إلى مسجد صغير عطل من جمال الصنعة والزينة فتقدم أحد الرجلين فألقى قبعته ووضع العمامة فعرفت أنه الإمام، وتقدم الآخر وعلى رأسه (كاسكت) فأداره وأقام الصلاة فصلينا المغرب وحدنا . وسألت عن ضريح صدر الدين فأشير إلى نافذة تطل إلى حديقة صغيرة فنظرت فإذا قبر بجانب النافذة فوقه عريش من الكرم وبجانبه أشجار

ولم تقر نفسى دون أن أرى مثوى الصوفى العجيب الغريب الذى اتصل بجلال الدين فحوله من الدرس إلى الخلوة ، ومن أستاذ درس إلى مريد طريقة ، الرجل الذى أثار حوله الظنون والأيدى حتى قتل فى إحدى الثورات عليه ، فما زال جلال الدين يشيد بذكره ويلهج به فى شعره حتى سمى ديوانه الكبير باسمه . ذلكم شمس تبريزى (شمس الدين محمد بن على التبريزى) الذى يقول فيه جلال وما أكثر ما قال فيه :

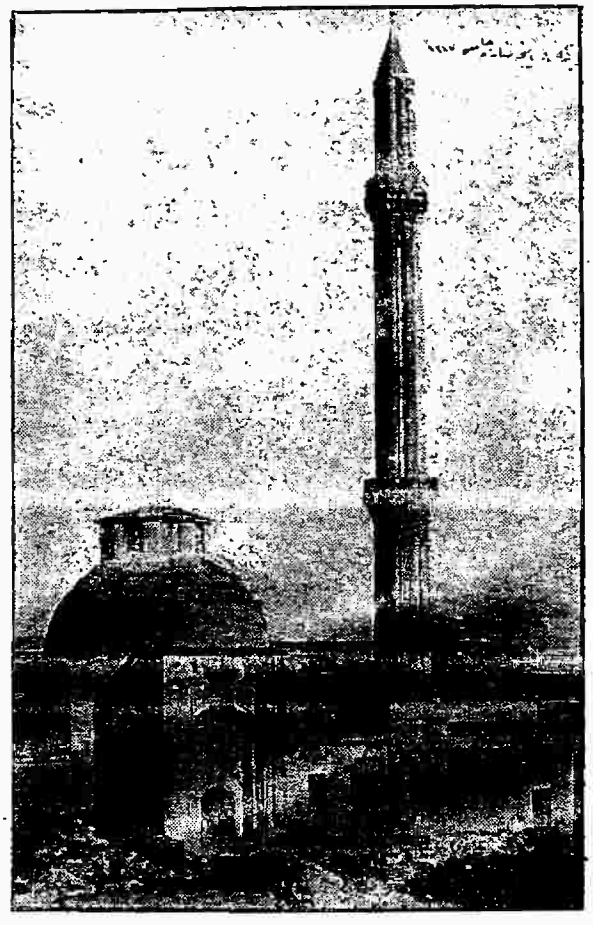

مدرسة إينجه منارة (المنارة اللطيفة)

نه من تنها سرايم شمس دين وشمس دين
ى سرايد عندليب أزباغ وكبك أزكوهسار
باسمه الورق والعنادل تشدو لست وحدى أنوح: (شمس الدين)

عزمت على زيارته فقيل إن المزار مغلق لا يفتح لأحد . فاكتفيت بمشاهدة البناء على بعد : ثم لج بى التطلع فسرت إليه

ليلاً فجارت بي طرق متعرجة ضيقة فرجعت آسفاً وأعجلني السفر المبكر عن المسير صبحاً ، وإن قدر لي الرجوع إلى قونية كانت زيارة شمس الدين أول ما أفعل

— ٤ —

وقونية مدينة كبيرة في ولاية واسعة تسمى باسمها ، وهي على حافة صحراء كبيرة يمر بها نهر صغير ينتهي إلى بحيرة غربيها. وهي على ٤٥٠ كيلاً من استانبول إلى الجنوب الشرقي منها ويتصل بها سهل خصب جداً تكثر خيراته إذا أصابه مطر جود ، لأن نهرها وينابيعها لا تفي بإروائها. وصناعة النسيج بها رائجة

وهي كثيرة المساجد بها زهاء ١٥٠ مسجداً و ٥٠ جامعاً . وأهلها معروفون بالدين والتقوى

وبها كثير من آثار السلجوقيين إذ كانت حاضرة دولتهم في آسيا الصغرى

وهي مدينة قديمة عرفت أيام اليونان والرومان . ومن الأساطير التي تروى أن تنّيناً سلط عليها فكان يبلع النساء والصبايا حتى قتله برسيوس بن جوبيتر (المشترى) فوضع أهلها على أحد أبوابها تمثالاً لهذا البطل الذي نجاهم من التنين فسميت المدينة ايكونيوم أخذاً من كلمة ايقون أي الصنم أو التمثال

إذا وقف الإنسان على ربوة علاء الدين رأى أمامه ميداناً كبيراً فيه أنصاب حديثة للجمهورية التركية ، وأبنية ومساجد، وينتهي النظر إلى قبة مولانا جلال الدين تبدو من وراء الأبنية وبها شوارع جديدة واسعة . منها الجادة التي تمتد من الربوة إلى المحطة وفيها تمثال عظيم للغازي ويرجى لها مستقبل عظيم. ولا ريب أنها كانت أيام السلاجقة أعظم عمراناً وأكثر سكاناً

وقد زارها ابن بطوطة بعد زوال دولة السلاجقة واستيلاء أمراء بني قرمان عليها فقال :

« مدينة عظيمة حسنة العمارة كثيرة المياه والأنهار والبساتين والفواكه وبها المشمش المسمى بقمر الدين — وقد تقدم ذكره — ويحمل منها أيضاً إلى ديار مصر والشام . وشوارعها متسعة جداً وأسواقها بديعة الترتيب . وأهل كل صناعة على حدة . ويقال إن هذه المدينة من بناء الاسكندر ، وهي من بلاد السلطان بدر الدين بن قرمان وقد تغلب عليها صاحب العراق في بعض

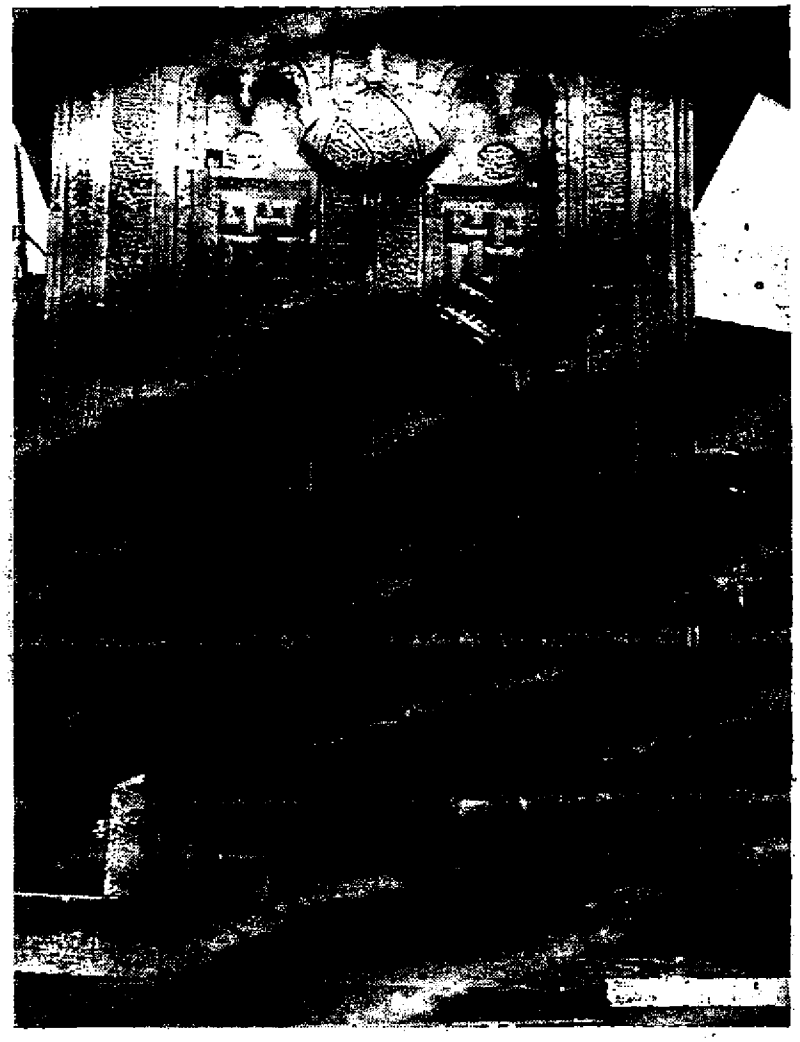

باب مدرسة اينجه منارة

الأوقات لقربها من بلاده التي بهذا الإقليم

نزلنا منها بزاوية قاضيها ويعرف بابن قلم شاه ، وهو من الفتيان وزاويته من أعظم الزوايا . وله طائفة كبيرة من التلاميذ ولهم في الفتوّة سند يتصل إلى أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام . ولباسها عندهم السراويل كما تلبس الصوفية الخرقة